

النقد التاريخي لمرويات سبب نزول آية الحجرات على الوليد بن عقبة.

The Historical Criticism of The Narratives of The Reason For The Revelation Of The Verse of Al-Hujurat To Al-Waleed bin Uqbah.

عبد الرحمن بن عراج

جامعة أحمد دراية-أدرار (الجزائر)، benaradj.abderrahmen@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/11/13 تاريخ القبول: 2023/06/06 تاريخ النشر: 2023/06/16

ملخص:

هذه الدراسة عبارة عن تحقيق في مسألة عدالة الصحابي الوليد بن عقبة وتوجيه النص القرآني الذي تظافر المفسرون في حمله على الوليد بن عقبة وهو نبأ الفاسق في آية الحجرات وذلك بسرد تلك الروايات ونقدها وتحصيلها وفق قوانين الرواية الحديثة والنقد التاريخي ثم بيان الصواب فيها وما تتفق به الأدلة. ولما كان لمثل هذه الدراسات من فائدة في دفع الشكوك وحماية جناب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت هذه الدراسة لرفع اللثام عن بعض الأوهام وبيان أهمية النقد التاريخي في بيان الحقيقة. ولقد توصلت الدراسة إلى ضعف كل الروايات التي تتهم الصحابي الوليد بالفسق، كما أن الآية ليست صريحة في شخصه بل في الفاسق إذا جاء بنبا. كلمات مفتاحية: النقد؛ المرويات؛ التاريخية؛ الصحابة؛ الوليد بن عقبة.

Abstract

This study Is an investigation into the issue of the justice of the companion Al-Waleed bin Uqbah and Nojeeh, the Qur'anic text That the commenta tors joined together to carry on Al-Waleed bin Uqba, which Is the news of the wicked one in the verse of Al-Hu jurat, by listing these narrations, criticizing them, and scrutinizing them according to the laws of modern narration and historical criticism, then clarifying what is correct in them and what the evidence agrees with.

Because such studies have the benefit of repelling doubts and protecting the honor of the companions of the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, this study came to lift the veil from some illusions and to clarify the importance of historical criticism in clarifying the truth.

Keywords criticism; narrations; historical; Al-Waleed bin Uqba.

الحمد لله ذي الفضل والإنعام والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء وخير الأنام وعلى آله وصحبه الغر الميامين الكرام.

أما بعد فالذي ذهب إليه جمهور السلف والخلف، أن العدالة ثابتة لجميع الصحابة رضي الله عنهم، وهي الأصل المستصحب فيهم، إلى أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد منهم لما يوجب الفسق مع علمه، وهذه المسألة عظيمة الجدوى، والحاجة إليها ماسة في أصول الدين.

ولكن قد استشكل ما صدر عن بعض الصحابة فيما وصلنا من روايات ما يثبت خلاف عدلتهم كما في شأن الوليد بن عقبة، فهل القاعدة- كل الصحابة عدول- لها استثناءات؟ وعلى ماذا تحمل آية الحجرات؟ وكيف نوجه تولية عثمان له بعد ذلك؟ أليس في هذا مستند ومتذرع للرافضة للنيل من الصحابة؟ وللإجابة عن هاته الإشكالات جاءت هذه الدراسة.

وقبل الشروع في هذه الدراسة نقدم بمقدمة في تعريف الصحابة إذ أنه تنبني عليه عدة أحكام ومنها مسألتنا هذه، فهل ينطبق تعريف الصحابة على الوليد بن عقبة بعد التعريف كذلك بالوليد بن عقبة.

المبحث الأول: تعريف حد الصحبة

تعتبر مسألة تعريف الصحابي وبيان الحد الذي يتحقق به وصف الصحبة من المسائل المهمة المتعلقة بمبحث الصحابي وعليها تنبني مسائل كثيرة.

المطلب الأول: تعريف الصحابي لغة

قال ابن فارس: «صحب»: الصاد، والحاء، والباء: أصل واحد، يدل على مقارنة شيء، ومقارنته، ومن ذلك الصحاب، والجمع الصحب، ومن الباب: أصحب فلان: إذا انقاد، وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه. (ابن فارس، ١٩٧٩ م، صفحة 3/335)

قال القاضي أبو بكر الباقلاني (403هـ): (لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول "صحابي" مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلاً كان أو كثيراً، كما أن القول مكلم، ومخاطب، وضارب مشتق من المكاملة والمخاطبة والضرب وجر على كل من وقع منه ذلك، قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال، وكذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً، ودهرًا، وسنة، وشهرًا، ويوماً وساعة،

فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره، وذلك يوجب في حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار، هذا هو الأصل في اشتقاق الاسم (البغدادى، ١٣٥٧ هـ، صفحة 51).

فهذا يعني أن الصحبة في اللغة لا يشترط في إطلاقها أن تكون الملازمة بين الشيعتين طويلة، بل يصح إطلاقها على كل من صحب غيره مهما كان مقدار الصحبة.

المطلب الثاني: تعريف الصحابي اصطلاحاً:

ذهب العلماء في تعريف الصحابي اصطلاحاً مذاهب شتى، ومجمل تلك المذاهب، ثمانية ما بين متوسع في الحد، وما بين مضيق؛ ولكن أعدل تلك الأقوال، وأشهر تلك المذاهب ما عليه أكثر العلماء من المتقدمين والمتأخرين؛ حيث عرفوه بقولهم: "أن كل مسلم رأى النبي صلى الله عليه وسلم لو لحظة، وعقل عنه شيئاً، فهو صحابي، سواء كان ذلك قليلاً أو كثيراً، أو: كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على ذلك".

وقد اعتبره الحافظ ابن حجر أصح ما وقف عليه في تعريف الصحابي. (بن حجر، ٢٠٠٠ م، صفحة 55).

قال الإمام أحمد: «كل من صحبه سنة، أو شهراً، أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه» (البغدادى، ١٣٥٧ هـ، صفحة 51).

وقال ابن المديني: (من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه، ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) (بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣٧٩، صفحة 7/5).

وقال البخاري: (من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين، فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه). (البخاري، ١٤٢٢ هـ، صفحة 3/1333).

فهذا المذهب الوسط بين المذهب المتسع وهو (كل من أسلم في زمن النبي ﷺ رآه أو لم يره قابله أو لم يقابله) وبين المذهب الأضيق (تحقق الصحبة بالمصاحبة للنبي ﷺ مدة سنة، وشهود غزوة).

المبحث الثاني: الإجماع على عدالة الصحابة

المطلب الأول: حجية الإجماع

الإجماع هو "اتفاق مجتهدي عصر من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على أمر

شرعي"

يؤخذ من التعريف أنه إذا وقعت حادثة، وأراد المسلمون أن يعرفوا الحكم الشرعي فيها، فتعرض على جميع المجتهدين المسلمين وقت حدوثها، فإن اتفقوا على حكم معين فيها، كان اتفاقهم إجماعاً، ويكون هذا الإجماع هو الدليل على أن هذا الحكم هو الحكم الشرعي في الواقعة. وهذا ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، عند نزول الوقائع الجديدة بالمسلمين، وكان عمر رضي الله عنه يحرص على الاحتفاظ بالصحابة والمجتهدين في المدينة المنورة مركز الخلافة الإسلامية.

واتفق المسلمون على كون الإجماع حجة شرعية، ومصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي في بيان الأحكام الشرعية، وأنه لا تجوز مخالفته، واستدلوا على ذلك بالقرآن الكريم والسنة والمعقول.

حيث قال الله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: 8-9] فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار.

بهذا فسر أبو بكر الصديق، هاتين الكلمتين، من الآيتين، حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} .

وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ [التوبة: 100].

و كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) البخاري (2652)، ومسلم (2533).

قال النووي رحمه الله: " الصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث تابعوهم " (النووي، ١٣٩٢، صفحة 16/85).
المطلب الثاني: الإجماع على عدالة الصحابة.

لقد تضافرت النصوص من القرآن والسنة على فضل صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومدحهم والثناء عليهم ورفع منزلتهم وتكريمها تشريفا لهم لمكانتهم وكيف وقد صحبوا أشرف الخلق وسيد الثقلين واكتحلت أعينهم برؤيته وهل يستوي من رأى سيد الخلق مؤمنا به ومن لم يتشرف برؤيته؟!

وأجمعت الأمة لذلك على عدالتهم إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله تعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقله الشريعة.

وقد نقل الإجماع غير واحد، ونذكر منهم الإمام النووي حيث قال: " ولهذا اتفق أهل الحق ومن يُعتمد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين".

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل وثناء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرتة، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منها" (ابن عبد البر، ١٩٩٢ م، صفحة 1/3).

وهذا لا يعني عصمتهم من الذنوب أو رفعهم فوق صفة البشر بل لهم من الذنوب والمعاصي ومن الأخطاء إما باجتهاد وغيره؛ ولكن لهم من التوبة والاستغفار والحسنات ما ليس لمن هو دونه، وابتلوا بمصائب يكفر الله بها خطاياهم، لم يبتل بها من دونه، فلهم من السعي المشكور والعمل المبرور ما ليس لمن بعدهم، ولهم من الجهاد والفتوح ما ليس لغيرهم وهم بمغفرة الذنوب أحق من غيرهم ممن بعدهم.

المبحث الثالث: ما جاء في أن الوليد بن عقبة فاسق بنص الآية.

المطلب الأول: ترجمة الوليد بن عقبة.

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب. يكنى أبا وهب ونشأ الوليد بعد ذلك في كنف عثمان إلى أن استخلف، أسلم عام الفتح (8هـ)، ولاة الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص، واستعظم الناس ذلك.

كما أنه قد نسبت له مثالب أعرضت عن ذكرها إلا بعد دراستها وتحيصها كما هو الشأن في هذه الدراسة-التي تعني بفحص شبهة وصفه بالفاسق بنص الآية-.

المطلب الثاني: مرويات سبب نزول الآية.

ذكر جمع من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، وقد جاءت في ذلك عدة روايات تبين سبب نزول هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) [الحجرات: 6]. وقد ذكر هذه الروايات ابن جرير الطبري في تفسيره (الطبري، 2001، صفحة 22/289).

نجملها فيما يلي مع بين درجتها:

أولاً: عن الحارث بن ضرار الخزاعي: ((قال قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة. فبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله ﷺ، وقال: ((يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي))، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث، فقالوا ((هذا الحارث)) فلما غشيهم، قال لهم: ((إلى من بعثتم؟)) قالوا: ((إليك))، قال: ((ولم؟)) قالوا ((إن رسول الله كان بعث الوليد بن عقبة، فرغم أنك منعه الزكاة، وأردت قتله))، قال: ((لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني))، فلما دخل على رسول الله ﷺ قال: ((منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟)) قال ((لا

والذي بعثك بالحق، ما رأيته ولا أأتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول الله ﷺ خشيت أن تكون بسخطة من الله ورسوله))، قال فنزلت آية الحجرات.

أخرجه أحمد واللفظ له (4/279)، وهذا إسناد ضعيف فيه دينار وهو مجهول.

ثانياً: عن علقمة بن ناجية قال:

بعث إلينا رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة يصدق أموالنا، فسار حتى إذا كان قريباً منا - وذلك بعد وقعة المريسيع - فرجع وركبنا في أثره، وسقنا طائفة من صدقاتنا ونفقات يحملونها فقدم فذكر نحواً مما في حديث الحارث.

أخرجه (بن أبي عاصم، ١٩٩١، صفحة 4/2335)، وقال البيهقي ((وهذا إسناد غير قوي)). (البيهقي، ١٩٩١م، صفحة 4/150).

ثالثاً: عن أم سلمة بمعنى حديث الحارث.

أخرجه ابن جرير (123/26) وهذا إسناد ضعيف فيه موسى بن عبيدة ضعيف. رابعاً: عن ابن عباس بمعنى حديث الحارث أخرجه (الطبري، 2001، صفحة 123/26) وهذا إسناد واه مسلسل بالعوفيين، وهم ضعاف وآخرهم إلى ضعفه يدلس.

خامساً: عن جابر قال:

بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني وليعة وكانت بينهم شحنة في الجاهلية، فلما بلغ بني وليعة استقبلوه فذكر معنى حديث الحارث وذكر آخره قال ﷺ : ((لينتهين بني وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً عندي كنفسي يقتل مقاتلتهم، ويسبي ذراريهم، وهو هنا)) يعني علياً وأنزل الله الآية في الوليد .

أخرجه (الطبراني، ١٩٩٥ م، صفحة 3797) وإسناده منكر فيه عبد الله ابن عبد القدوس هو رافضي خبيث كما قال أحمد.

سادساً: عن مجاهد

أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ابن أبي معيط إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالهدية فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق جمعوا لك ليقاتلوك.

أخرجه ابن جرير في تفسيره (الطبري، 2001، صفحة 124/26) وهذا مرسل صحيح

الإسناد إلى مجاهد.

سابعاً: عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال:

نزلت في الوليد أخرجه ابن جرير في تفسيره (الطبري، 2001، صفحة 26/124) وهذا مرسل صحيح الإسناد إلى ابن أبي ليلى.

ثامناً: عن يزيد بن رومان بمعنى حديث الحارث إلا أنه قال: بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة ابن أبي معيط. أخرجه ابن هشام في السيرة (بن هشام، ١٩٥٥ م، صفحة 2/296) هذا مرسل حسن الإسناد.

الخلاصة: فهذه طائفة من الآثار بينت سبب نزول الآية إلا أنها ضعيفة والصحيح منها مرسل؛ ما دفع ابن كثير أن يقول في (بن كثير، ١٩٩٧ م، صفحة 8/214) والله أعلم بصحة ذلك. والمرسل من قبيل الضعيف عند أئمة الفن، وقد احتج به الفقهاء لكن بشروط ليس هذا منها.

المبحث الرابع: التعارض بين الروايات في سن الوليد بن عقبة عليه السلام في زمن غزوة بني المصطلق. لقد تعارضت الروايات في تحديد في سن الوليد بن عقبة ومن خلالها قد يتبين لنا صحة سبب النزول.

الرواية التي فيها أن الوليد كان رجلاً يوم الفتح:

ما تقدم من الروايات السابقة في سبب النزول آية الحجرات دلت على أن الوليد بن عقبة كان في زمن غزوة بني المصطلق رجلاً؛ لأن النبي ﷺ أرسله مُصَدِّقاً إلى بني المصطلق. ويؤيد ذلك أنه قدم في فداء ابن عم أبيه الحارث بن أبي وجزة، وكان أُسِرَ يوم بدر، فافتداه بأربعة آلاف مما جعل الحافظ ابن حجر يرجح أن الوليد ﷺ كان عام الفتح رجلاً. (بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٤١٥ هـ، صفحة 3/2087).

الرواية التي فيها أن الوليد بن عقبة كان عام الفتح صبيّاً:

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﷺ أنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيّانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، فجاء بي إليه وإني مطيّب بالخلّوق، فلم يمسح على رأسي، ولم يمنعه من ذلك إلا أن أُمِّي خَلَقْتَنِي بالخلّوق فلم يمسني من أجل الخلّوق.. (بن حنبل، ٢٠٠١ م، صفحة 26/305).

فدلت هذه الرواية أن الوليد كان صبيّاً عام الفتح؛ فكيف يرسله النبي ﷺ مصداً إلى بني المصطلق سنة ست؛ وقد كان عام الفتح -سنة ثمان-صبيّاً.

ثم أنه أسلم عام الفتح؛ فكيف يرسله النبي ﷺ مصداً إلى بني المصطلق سنة ست وهو لم يسلم بعد، واعتمده القاضي ابن العربي في الحكم على سن الوليد بن عقبة رضي الله عنه بأنه كان صبيّاً عند فتح مكة. انظر (بن العربي ، ١٩٨٧م، صفحة 93).

وكان جواهم على خبر قدومه مع أخيه عمارة إلى المدينة ليردا أختهما؛ فإن عمارة هو الأصل في هذه الرحلة وأن الوليد جاء في صحبة أخيه، ولا يمنع من قدوم الوليد صبيّاً بصحبة أخيه الكبير.

الخلاصة:

أن حديث أنه كان صبياً يوم فتح مكة لا يصح وإسناده ضعيف لجهالة عبد الله الحمداني وهو أبو موسى، فقد انفرد بالرواية عنه ثابت بن الحجاج الكلابي، وجهله الذهبي وابن حجر في "التقريب"، وقال البخاري في (البخاري، التاريخ الكبير، صفحة 5/224) لا يصح حديثه، وقال ابن عبد البر: أبو موسى هذا مجهول، والخبر منكر لا يصح».

مما تقدم يظهر ترجيح الرواية التي تنص على أنه كان رجلاً يوم الفتح.

نعم قد يفيد هذا الترجيح من الآثار أن للقصة أصل صحيح ويؤيده ما قاله ابن عبد البر في: ((ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله إن جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة)). (بن عبد البر، ١٩٩٢ م، صفحة 3/632).

الوليد بن عقبة ليس فاسقاً، والآية عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

فنقول أن الآثار أخبرت أن الآية نزلت في ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ففهم منها ابن عبد البر أنها نزلت بأنها نزلت لذلك مقتصرًا عليه ومتعديًا إلى غيره، أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٦) ﴿[المنافقون: 6] وقوله تعالى: ﴿فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: 50] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ

النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة: 20] إلى غير ذلك». انظر: (الرازي ، ١٤٢٠ هـ، صفحة 28/98)

وقبل أن نبين معنى الفاسق هنا، وهل هو الوليد، أو أن الآية عامة؟ يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره: "والفاسق: المتصف بالفسوق، هو من فعل ما يجرمه الشرع من الكبائر، وفسر هنا بالكاذب، قاله ابن زيد ومقاتل وسهل بن عبد الله، وأوثر في الشرط حرف "إن" الذي الأصل فيه أن يكون للشرط المشكوك في وقوعه؛ للتنبية على أن شأن فعل الشرط أن يكون نادر الوقوع لا يقدم عليه المسلمون.

واعلم أن ليس في الآية ما يقتضي وصف الوليد بالفاسق تصريحاً ولا تلويحاً، وقد اتفق المفسرون على أن الوليد ظن ذلك، وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمد الكذب... ولو كان الوليد فاسقاً لما ترك النبي - صلى الله عليه وسلم - تعنيفه واستتابته... إذ كان تعجيل الوليد الرجوع عجلة، وقد كان خروج القوم للتعرض إلى الوليد بتلك الهيئة مثار ظنه حقاً، إذ لم يكن المعروف خروج القبائل لتلقي السعاة، وأنا أحسب أن عملهم كان حيلة من كبرائهم على انصراف الوليد على الدخول في حيهم تعيراً منهم في نظر عامتهم من أن يدخل عدو لهم إلى ديارهم، ويتولى قبض صدقاتهم فتعيرهم أعداؤهم بذلك، فيمتعض منهم دهماؤهم؛ ولذلك ذهبوا بصدقاتهم بأنفسهم في رواية، أو جاءوا معتذرين قبل مجيء خالد بن الوليد إليهم في رواية أخرى.

ويؤيد هذا ما جاء في بعض روايات هذا الخبر أن الوليد أعلم بخروج القوم إليه، وسمع بذلك فلعل ذلك الإعلام موعز به إليه ليخاف فيرجع، وقد اتفق من ترجموا للوليد بن عقبة على أنه كان شجاعاً جواداً، وكان ذا خلق ومروءة...

وإنما تلقف هذه الأخبار الناقمون على عثمان؛ إذ كان من عداد مناقمهم الباطلة أنه أولى الوليد بن عقبة إمارة الكوفة، فحملوا الآية على غير وجهها، وألصقوا بالوليد وصف الفاسق - وحاشاه منه - لتكون ولايته الإمارة باطلة، وعلى تسليم أن تكون الآية إشارة إلى فاسق معين، فلماذا لا تحمل على إرادة الذي أعلم الوليد بأن القوم خرجوا له ليصدوه عن الوصول إلى ديارهم قصداً لإرجاعه؟!

وفي بعض الروايات أن خالدا وصل إلى ديار بني المصطلق، وفي بعضها أن بني المصطلق وردوا المدينة معتذرين، واتفقت الروايات على أن بين بني المصطلق وبين الوليد بن عقبة شحنة من عهد الجاهلية.

وفي الرواية أنهم اعتذروا للتسلح بقصد إكرام ضيفهم، وفي السيرة الحلبية أنهم قالوا: خشينا أن يبادئنا بالذي كان بيننا من شحنة... وهذه الآية أصل عظيم في تصرفات ولادة الأمور، وفي تعامل الناس بعضهم مع بعض من عدم الإصغاء إلى كل ما يروى ويخبر به.

والخطاب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ﴾ [الحجرات: 6] مراد به النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه، ويشمل الوليد بن عقبة إذ صدق من أخبره بأن بني المصطلق يريدون له سوءاً، ومن يأتي من حكام المؤمنين وأمرائهم؛ لأن المقصود منه تشريع تعديل من لا يعرف بالصدق والعدالة، ومحجج حرف "إن" في هذا الشرط يومئ إلى أنه مما ينبغي ألا يقع إلا نادراً.

وعليه فإن القول بأن هذه الآية نزلت في الصحابي الوليد بن عقبة بن أبي معيط قول ضعيف، نص على ضعفه أكثر محققي تراجمه، والآية ليس فيها وصف للوليد بالفسق تصريحاً ولا تلويحاً؛ لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً، وجاء لفظ الفاسق منكراً ليدل على العموم، وليس فاسقاً بعينه، أو أن الآية نزلت فيمن أخبر الوليد بخروج بني المصطلق لقتله.

موقف الخلفاء من الوليد بن عقبة:

إنه مما يشكل في إسقاط آية الحجرات على الوليد بن عقبة هو موقف الخلفاء الراشدين من الوليد إذ لو كان فاسقاً لما كان له مكانة عندهم وقد عرف عنهم الصلابة في الحق وعدم المداينة فيه.

فقد استعمله أبو بكر الصديق حيث كان موضع السر في الرسائل الحربية التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس سنة 12 (الطبري، 2001، صفحة 3/351) وكذلك في وقعة عين التمر ولا يخفى هذه المهنة لا توكل للفاسق بل للناصح الأمين، كما ولاه على ضاحية قضاعة واستعمله على صدقاتها (الطبري، 2001، صفحة 3/390) وماكن للصديق أن يوليه على الصدقات لو كان فاسقاً.

ثم استعمله بعده الفاروق حيث كان عاملاً على عرب الجزيرة ثم وجهه إلى شمال الشام ليحمي ظهور المجاهدين لئلاً يؤتوا من خلفهم، فكانت تحت قيادته ربيعة وتنوخ مسلمهم وكافرهم (الطبري، 2001، صفحة 4/252).

وولي الكوفة في عهد عثمان بن عفان واستعمله كذلك في غزو الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية، لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام أيام عمر (الطبري، 2001، صفحة 4/246).

الخاتمة:

وبعد هذا المبحث الموجز عن الأحاديث الواردة في الوليد بن عقبة فلا بد من تسطير هذه النتائج التي توصلت إليها:

1- وصف الوليد بالفاسق في قرآن يتلى إلى قيام الساعة بسبب ظنٍ قد ظنه يتناهى مع مقاصد الشريعة وروحها فتعين توجيه سبب نزول الآية.

2- من كان هذا حاله -فرضاً- بنص القرآن فكيف لمؤمن -فضلاً عن كبار الصحابة- يثق فيه ويوليه المناصب؟! ويتالي لابد من إعادة النظر في تفسير الآية.

3- ما نقل عن الوليد كله من قبيل المرسل؛ يعني أنه قد دون في أثناء الدولة العباسية ولا يخفى العداوة بينهم والخلاف السياسي والمذهبي من ترويج مثل هذه الأحاديث المنكرة.

قائمة المصادر والمراجع.

أبو بكر البغدادي. (١٣٥٧ هـ). الكفاية في علم الرواية. حيدر آباد: جمعية دائرة المعارف

العثمانية - حيدر آباد، الدكن.

أبو بكر بن أبي عاصم. (١٩٩١). الأحاد والمثاني. الرياض: دار الراية.

أحمد ابن فارس. (١٩٧٩ م.). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.

أحمد البيهقي. (١٩٩١ م.). معرفة السنن والآثار. القاهرة: جامعة الدراسات الإسلامية.

أحمد بن حجر. (١٣٧٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: المعرفة.

أحمد بن حجر. (١٤١٥ هـ). الإصابة في تمييز الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن حجر. (٢٠٠٠ م). نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. دمشق: مطبعة الصباح.

أحمد بن حنبل. (٢٠٠١ م). مسند الإمام أحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة.

إسماعيل بن كثير. (١٩٩٧ م). البداية والنهاية. الرياض: دار عالم الكتب.

المؤلف. (2017).

سليمان الطبراني. (١٩٩٥ م). المعجم الأوسط. القاهرة: دار الحرمين.

عبد الملك بن هشام. (١٩٥٥ م). السيرة النبوية. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

محمد بن العربي. (١٩٨٧ م). العواصم من القواصم. بيروت: دار الجيل.

محمد البخاري. (١٤٢٢ هـ). صحيح البخاري. مصر: السلطانية.

محمد البخاري. (بلا تاريخ). التاريخ الكبير. حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية.

محمد الرازي. (١٤٢٠ هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد الطبري. (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. المدينة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

محيي النووي. (١٣٩٢). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

يوسف ابن عبد البر. (١٩٩٢ م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. بيروت: دار الجيل.

يوسف ابن عبد البر. (١٩٩٢ م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. بيروت: دار الجيل.